الاختلاط

ومايَنجم عنه من مساوئ الأخلاق

ويليها

الأخلاق الحميدة للمرأة المسلمة الرشيدة

الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود
رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية
بدولة قطر

المكتبة القيمة
مصر - الحي السابع - شارع ٥٥ الدبلوماسي
بلوك ٨٦ - عمارة ١٤ - أمام السوق
ت : ٦٠١١٧٢

حقــوق الطبــع محفوظة
للنـــاشر

المكتبــة القيمــة
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعــة الثانيــة
١٤٠٧ هـ

يطلب الكتاب من :

١ ــ **مكتبة الصحافة :** بميدان العباسية ــ القــاهرة ــ ت ٢٥٧٥٣٠٣

٢ ــ **المكتبة الاسلامية :** ٧٤ شارع مصر والسودان ــ حدائق القبة ــ القــاهرة

٣ ــ **مكتبة النــور :** ٨ شارع الأهرام ــ بجوار سينما بالاس ــ روكسى القــاهرة ــ ت : ٢٥٨٤٥٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الأمراء والى الوزراء والى العقلاء المفكرين من المسلمين :

سلام الله ورحمته عليهم أجمعين ، وأسأل الله لى ولهم التوفيق للتمسك بالدين وطاعة رب العالمين ، وأن يعيذنا واياهم من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ومن همزات الشياطين •

أما بعد ــ فان الدين النصيحة لله ولدينه وعباده المؤمنين ، وقد أوجب الله علينا بنص القرآن بأن نتعاون على البر والتقوى ، وأن نتناهى عن الاثم والعدوان ، وأن دين الاسلام هو دين كامل وشرع شريف شامل ، مبنى على جلب المصالح ودرء المفاسد ، فلا يحرم شيئا من المحرمات ، الا لأنه ضار بفاعله وبالناس مباشرة ، أو تسببا ، ومدار سياسة الاسلام على ستة أمور ، أحدها : حفظ الدين ، والثانى : حفظ الأنفس ، والثالث : حفظ الأموال ، والرابع : حفظ الأنساب ، والخامس : حفظ العقــول ، والسادس : حفظ العروض : أى حفظ الفروج •

ومن أجل حفظ العروض ، حرم الله الزنا وحرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وحرم ابداء زينة المرآة المسلمة لغير زوجها ومحارمها ، ونهى عن الخلوة بها وعن سفرها بغير محرم ، وعن النظر اليها بشهوة ، كل هــذه الأمور حرمها لكونها تفضى الى الفاحشة الكبرى ، والوسائل لها أحكام المقاصد ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، فالشرع الحكيم حمى حمى العروض وسد الطرق التى تفضى الى السفاه والفساد والاخلال بنظام النكاح الحلال ، وقال تعالى : « **تلك حــدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حــدود الله فقد ظلم نفسه** » • وحــدود الله محرماته •

ان الأمراء والعلماء والوزراء ، يجب أن يكونوا بمثابة المرابطين دون ثغر دينهم ووطنهم ، يحمونه عن الالحاد وتسرب دخول الفساد على العباد ، لاعتبار أنهم متكاتفون متكافلون فى جلب المصالح ودفع المضار ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله •

فمتى قصر هؤلاء بواجبهم وتكاسلوا عن حماية دينهم ووطنهم وتركوا الخمور تجلب الى بلدهم والحوانيت تفتح لبيعها ، وتركوا بلدهم معطنا لمراتع الفسوق ، فلم يأخذوا على أيدى سفهائهم فى منعهم عما يضرهم ، فانه بذلك يتحقق خراب البلاد وفساد العباد وخاصة النساء والأولاد ، فتسود الفوضى وهتك الأعراض ويصابون بفتنة فى الأرض وفساد كبير ، لأن بقاء الأمم ببقاء أخلاقهم ، فاذا ذهبت أخلاقهم ذهبوا • يقول الله : « **واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا** » • والمراد بالهلاك هنا هو هلاك الأخلاق ، لأنه أضر من هلاك الأبدان ، والفتنة أشد من القتل •

ان العقلاء لا ينبغى لهم أن يغتروا بكثرة الأصوات فى طلب ما هو محض الضرر عليهم فى أخلاقهم ، فان كثرة الأصوات ليست بحجة فى اباحة المحرمات مع قيام الدليل والبرهان على البطلان ، ولأن كثرة الأصوات تنشأ غالبا عن الهوى والحب للشىء • والله يقول : « **وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله ، ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون** » • وأكثر الناس فى هذا الزمان يفضلون التحلل عن عقل الدين وأخلاقه وآدابه وحلاله وحرامه ، ويحبون أن يعيشوا فى الدنيا عيشة البهائم ، ليس عليهم أمر ولا نهى ولا صلاة ولا صيام ولا حلال ولا حرام •

واعتبروا بالبلدان التى قوضت منها خيام الاسلام وترك أهلها فرائض الصلاة والصيام ، واستباحوا الجهر بمنكرات الأخلاق والعصيان ، وصرفوا جل عقولهم وجل أعمالهم وجل اهتمامهم للعمل فى دنياهم ، واتباع شهوات بطونهم وفروجهم ، وتركوا فرائض ربهم ، ونسوا أمر آخرتهم ، فانظروا كيف حالهم وما دخل عليهم من النقص والجهل والكفر وفساد الأخلاق والعقائد والأعمال ، حتى صاروا بمثابة البهائم ، يتهارجون فى الطرقات لا يعرفون صياما ولا صلاة ، ولا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا ، ولا يمتنعون من قبيح ولا يهتدون الى حق ، قد ضرب الله قلوب بعضهم ببعض فذهبت منهم الديانة وفشت من بينهم الخيانة ، واستشرت الفوضى والفساد ، فاعتبروا بسوء حالهم وفساد أعمالهم ، « فان خير الناس من

وعظ بغيره » ، وقـد ضرب النبى ــ صلى الله عليـه وسلم ــ لكم مثلا فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ، فقال : « مثل القائم فى حـدود الله الذين ينكرون المنكرات ويسعون فى ازالتها ، ويأخذون بأيدى سفهائهم عن مواقعتها ، ومثل الواقع فى المنكرات كمثل قوم ركبوا فى سفينة فصار بعضهم فى أعلاها ، أى فى السطح وبعضهم فى أسفلها ، أى فى الخن ، فأراد الذين فى الخن أن يخرقوا خرقا يتناولون منه ماء البحر من عندهم ، قال : فان أخذوا على أيديهم ومنعوهم نجـوا ونجـوا جميعا ، وان تركوهم وما يصنعون هلكوا وهلكوا جميعا » وهـذا مثل مطابق للواقع ، فان انكار المنكرات نجاة للمنكرين والفاعلين والناس أجمعين ، لأن انكارها هـو مما يقلل فشوها وانتشارها ، واذا خفيت المعصية لم تضر الا صاحبها • أما السكوت عن انكار المنكرات ، فانه مدعاة الى الغرق فيها ، لكون السكوت عنها هـو مما يسبب فشوها وانتشارها ، والمحسن شريك للمسىء ، اذا لم ينهه ، ولهذا قال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ « والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطرا ، (أى تلزمونه به الزاما) ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عـذابا من عنده » •

وان هذا الاختلاط بين الشباب والشابات ، واحتكاك بعضهم ببعض جنبا الى جنب ، وجريان الحديث والمزاج من بينهما ، ثم المصاحبة والخلوة كما تقتضيه المجالسة والمؤانسة ، فان هذا العمل ضار فى ذاته ومؤد الى الفاحشة الكبرى فى غايته وسوء عاقبته ، لأنه يعد من أقوى الأسـباب والوسائل لافساد البنات المصونات وتمكن الفساق من اغوائهن بنصب حبائل المكر والخـداع لهن •

والفساق هم الذين يحرصون أشد الحرص على مثل هذا الاختلاط ليبالوا أغراضهم ويشبعوا شـهواتهم من التمتع بالنظر الى البنـات المصونات عنهم طول الحياة ، والصيانة نعم العون على العفاف والحصانة ، فان من العصمة أن لا تقـدر وما من نظرة الا وللشيطان فيها مطمع •

الى متى نغش أنفسنا أو نغش بناتنا وأهل ملتنا ، ونتعامى عما يترتب على هذا الاختلاط من فساد الآداب ومساوىء الأخلاق ، فالنظرة هى نظرة فى مبدأها لكنها تكون خطره فى القلب • ثم تكون خطوة بالقدم ، ثم تكون خطيئة ، وكم نظرة أورثت صاحبها حسرة وهى تحسب من مقدمات الزنا لمـا فى البخارى ، أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « العينان تزنيان وزناهما النظر والقلب يتمنى ويشتهى والفرج يصـدق ذلك أو يكذبه » ولهذا أمر الله المؤمنين ، بأن يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ، وكما أمر المؤمنات بأن يغضضن من أبصارهن ويحفضن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، وكما أمر الله نساء نبيه ونساء المؤمنين بأن يدنين عليهن من جلابيبهن وأن لا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى •

أيها الاخـوان المسلمون :

ان تحويل النساء المسلمات عن الآداب الاسلامية والعادات العربيه الى اتباع تقليد النصارى فى أخلاقهم وزيهم وعاداتهم انه مبدأ لقطـع الرابطة الاسلامية والأخلاق الدينية ، وتقويض لدعائم الشرف والحيـاء والستر ، وفتح لباب السفاح والفساد •

فليس ضرره مقصورا على عصيان النساء لأمر الله فى ابداء زينتهن للأجانب فى هذا المقام ، وجرأتهن فى اختلاطهن بالأغيار وما ينجم عنه من فنون الأضرار على الدين والشرف والعرض فحسب ، بل ان ضرره يتعدى بطريق العدوى والتقليد الأعمى من طور الى طور ومن بلد الى بلد اذا لم يوجـد من يعارضه ، بمنعه من القائمين على الناس بالاصلاح والعدل ، لأن الأخلاق تتعادل والطباع تتناقل كما هو المعروف من انتشار البدع والأخلاق السيئة ، ولهذا مدح النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ المتمسكين بدينهم عند فساد الناس ، فقال : « طوبى للغرباء الذين يصلحون اذا فسد الناس » ، وفى رواية « يصلحون ما أفسد الناس » وهم قوم صالحون قليل فى قوم سوء كثير • والرجل الصالح يصلح الله به أهله وكثيرا من أهـل

بلده ، وان أكثر ما يجنى على الناس بالشر ويوقعهم فى فعل المنكر ، هـو تقليد بعضهم لبعض ، لكون الناس فى تقليدهم للغير يسهل فى نفوسهم فعل ما يسوء فعله ولا قـدوة فى الشر ، فقد قيل : لا تستوحش طرق الاسلام من قلة السالكين ، ولا تغتر بكثرة الهالكين التاركين لأخلاق الدين ، فان الله يقـول : « **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** » •

ان تحويل النساء المسلمات عن أخلاقهن الدينية انه يقع بتأثير روح أخلاق أجنبية غايتها تحويل المسلمات عن دينهن وجميل أخلاقهن الى اتباع الأوروبيات وتقليدهن فى عادتهن « **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل ان هدى الله هو الهدى** »، فتقليد المسلمين لغير المسلمين فى مثل هذا الاختلاط هو مدعاة الى فتنة فى الأرض وفساد كبير ، ولن يخفى ضرره على من له مسكة من عقل أو دين ، ولكن الهوى يعمى ويعم •

وحتى النصارى على كفرهم أصبحوا وهم يعانون الشقاء ويشكون منه الويلات على أثر الويلات ، من جراء افساده لأخلاق البنين والبنات وسائر البيوت والعائلات ، فهم يتمنون الخروج منه وأن تكون حالتهم فى صيانة عائلتهم كحالة المسلمين •

وان العرب المسلمين فى تقليدهم لغيرهم فيه شبه الطفل الصغير مع الرجل الأحمق الفاجر ، يحسب الطفل أن كل ما يفعله هذا الأحمق أنه مفيد له ، فاذا رآه يشرب الدخان شربه ، أو رآه يشرب الخمر شربه ، وهكذا الأمة الجاهلة لصالحها والضعيفة فى دينها ومداركها ، تحسب أن كل ما يفعله النصارى أنه مفيد لها فتقلدها على غير بصيرة من أمرها ، لاعتقادها أنه محض التمدن والتجدد وجهلت بأن رؤساء الأمم أصبحوا وهم قلقون من هذا الاختلاط وما ينجم عنه من فنون المضار وفساد الأخلاق الى حالة أن بعض رؤسائهم امتنع عن الزواج ، لمـا يشاهده من سوء الطباع وفساد الأوضاع ، ويقول : كيف أتزوج أمرأة يأخذ بيدها خدنها من الشباب الى الصحراء والمغارات تبقى عنده اليومين والثلاثة ولا أقدر على انقاذها منه ولا صـده عنها •

وقال آخر : انى أغبط المسلمين على أشـــياء أهمها عندى صـــونهم لنسائهم •

ان كل ما قلنا فانه يعد من البراهين التى لا مجال للجدل فى صحتها لو كان للمسلمين رؤساء عقلاء يأخذون بأيدى سفهائهم عن اقرار مثل هـــذا فيأطرونهم على الحق اطرا ، أى يلزمونهم به الزاما ، فيدبرون أمر بلدهم بحسن رأيهم ورعايتهم ، ويتعاونون على جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم ولكنهم وللأسف أصبحوا فوضى لا سراة لهم •

تهـــدى الأمور بأهـــل الرأى ما صـــلحوا

فـــــان تولـــــوا فبالأشرار تنقـــــاد

لا يصلح النـــاس فوضى لا سراة لهم

ولا سراة اذا جهـــــالهم ســـــادوا

وقد قال الحكماء : صنفان من الناس اذا صلحا صلح سائر الناس ، واذا فسدا ، فسد سائر الناس : العلماء والأمراء •

يا معشر المسلمين العرب ، انى نذير لكم من شر قد اقترب ، انكم على ملة اسلامية ليست يهودية ولا نصرانية ، دينها المحافظة على الفرائض والفضائل واجتناب منكرات الأخلاق والرذائل ، وقد بعث نبيكم ليتمم اكم مكارم الأخـــلاق •

وان هذا الاختلاط يعد من مساوىء الأخلاق ، وليس من خلق أهل الاسلام فى شىء ، بل ولا من خلق العرب فى جاهليتهم ، فان العرب على شركهم يتهالكون فى حفظ أحسابهم وأنسابهم وصيانة نسائهم فهم أباة العار وحماة الحرم ، حتى أن الزنا يعد قليلا عندهم كما قالت هند : أو تزنى الحرة يا رسول الله ، استبعادا لوقوع الزنا من الحرائر ، وانما يعرف من أخلاق الاماء ، « **والرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على**

بعض » ، فمتى زالت قوامية الرجل ورقابته على موليته وأمنت غـيرته ساءت طباعها وفسدت أوضاعها ووقعت فيما يكره فعله •

ان مبدأ بدعة الاختلاط انما نشأت من النصارى الأوروبيين ، وكان فى شريعتهم تحريم الزنا ودواعيه ، لكنهم من أجل غلوهم فى نسائهم اخترعوا بدعة الاختلاط بين الشباب والشابات ، تمشيا مع شهوة نسائهم ليزيلوا بها الحياء والحشمة والنفرة بين الجنسين ، ثم استرسلوا معهن فى توسيع النطاق فى الانطلاق فى مساوىء الأخلاق ، فأعطوا المرأة كمال حريتها تتصرف فى نفسها كيف شاءت ليس لزوجها ولا لأبيها عليها من سلطان ، فلها أن تعاشر من شاءت من الأخدان وعلى أثر هذا جرى القانون فى عرفهم باباحة الزنا واللواط ، وصار كالشىء العادى التى لا تعاب به المرأة الى حالة أنهم صاروا يمدحون المرأة المجربة ، أى التى تأتى بولد أو ولدين من غير زوج ، فهذه هى كمال الحرية التى ينوه بمدحها النصارى ، وهى تفرق شمل أهل البيت وتلطخهم بالتهمة لمخالفتها لشرف الصيانة الاسلامية الجامعة بين الكمال والجمال •

بحسب العاقل أن يعرف مبدأ الاختلاط وغايته وسوء عاقبته ، وأن الدعاة اليه يريدون أن تكون نساؤهم وبناتهم وأهل بلدهم كحالة المراة الغربية ، فان لم يريدوا ذلك ، فان التقليد والاتباع يصيرهن اليه اضطرارا لا اختيارا ، والدفع للمنكرات قبل وقوعها أيسر من رفعها بعـد وقوعها ، وحسبك من شر سماعه فما بالك برؤيته •

أما دخول هذا الاختلاط على بعض بلدان العرب المسلمين ، فأن سببه معروف وأصله ضعف الدين ، فانه لمـا كثر اختلاط العرب المسلمين بالنصارى الأوروبيين وكثر احتكاكهم بهم وتعلموا فى مدارسهم وشاهدوا ما شاهدوه من اختلاط نسائهم برجالهم ، تأثروا بكثرة المشاهدة حتى زال بها الاحساس عنهم لأن رؤية المنكرات تقوم مقام ارتكابها فى سلب القلوب نور التمييز والانكار ، لأن المنكرات متى كثر على القلوب ورودها ، وتكرر فى العـين شهودها ذهبت وحشتها من القلوب شيئا فشيئا ، الى أن يراها الناس فلا

يرون أنها منكرات ، ولا يمر بفكر أحدهم أنها معاصى ، وذلك سبب سلب القلوب نور التمييز والانكار على حد ما قيل : « اذا كثر الامساس قل الاحساس » • ولهذا السبب أخذوا يقتبسون من أخلاق النصارى تدريجيا لضعف الوازع الدينى فى نفوسهم لهذه ، الأسباب أخذت بعض البلدان العربية تنادى بعملية الاختلاط فى الجامعات اتباعا لكثرة الأصوات وترتب على أثره من التوسع فى المفاسد والمنكرات وهتك الأعراض وحدوث الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق ما لا يخفى على أحد ، وكان النبى — صلى الله عليه وسلم — يستعيذ بالله من منكرات الأخلاق والأقوال والأعمال ، ونقل صاحب المنار قائلا : ان القائمين على عملية المطالبة بالاختلاط فى مصر هم المنحلون عن دين الاسلام وآدابه وأخلاقه ، والذين يودون لو مرق جميع المسلمين منه ، ويحبون أن يعيشوا فى الدنيا عيشة البهائم ، ليس عليهم أمر ولا نهى ولا صلاة ولا صيام ولا حلال ولا حرام •• انتهى •

وساعد على هذا كثرة ما يشاهدونه من عرض الأفلام الخليعة والصور الشنيعة والفواحش الفظيعة التى تعبث بالعقول وتوقع فى الفضول والتى هى بمثابة الدروس تطبع فى نفوس النساء والشباب محبة العشق والميل الى الفجور ، بحيث تجعل القلب الخلى شجيا تساوره الهموم والغموم ، ويبتلى بطول التفكير الذى من لوازمه السهر وحرمان لذة النوم الذى جعله الله راحة ورحمة للناس ومن أسباب الصحة لأجسامهم •

فهى بمثابة شرك الكيد وحبائل الصيد للقلوب الضعيفة من الشباب والنساء التى وصفهن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى تكسرهن وسرعة ميولهن بالقوارير ، لأن رؤية ما فيها من الصور المتحركة المضطربة ، وسماع ما فيها من أصوات الغناء والألحان المطربة هو مما يعلم بالحس والمشاهدة أنه يغرى النفوس ويهيجها على الاندفاع الى ما يشاهدونه فيها من تعاشق وتعانق ومجاراة ومباراة ، حتى يضعف الايمان وحتى يسير محبا للفسوق والعصيان ، فيغرق فى حضيض الذل والهوان ، فهى من الأعمال الضارة التى تفسد عليهم عقائدهم وعفافهم وآدابهم وتقطع روابط الزوجية فيما بينهم وتدنيهم من الاباحة المطلقة ولم يزل حكماء الاسلام

ورؤساء الأنام يشكون منها الويلات على أثر الويلات ، من جراء ما أفسدت عليهم من أخلاق البنين والبنات وسائر بيوت العائلات ، تفسد منهم الأديان وتدعوا الى الافتتان ، وانها والله لم توجد فى بيتى ولم أشاهدها بعينى وانما بلغنى من ضررها ما يبلغ العذراء فى خدرها ، فمتى كان القائم ببث أفلامها ممن لاحظ لهم فى الأخلاق والدين ، ويحبون أن تشيع الفواحش بين المسلمين فانها حينئذ يترتب عليها فتنة فى الأرض وفساد كبير ، والحاصل انها من منكرات الأخلاق ومن مضلات الفتن التى كان النبى — صلى الله عليه وسلم — يستعيذ منها ، ومع الابتلاء بها ، فاننى أنصح المراقبين عليهـا فى عرض ما يجمل وينفع من الأخلاق الفاضلة والأعمال العالية ، وأن يجتنبوا عرض منكرات الأخلاق الساقطة والأعمال السافلة ، كما يوجبه الدين والشرف والأمانة ، فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ، واذا لم تستح فاصنع ما شئت •

والحاصل ، أنه يجب على الحكومة نصب رقابة عدلية لها حظ من الأخلاق الدينية ، تمنع نشر الفواحش الموحشة ، وتمنع نشر ما يقبـح منظره ويسوء خبره صيانة لكرامة الناس واتقاء فتنتهم واستبقاء حسن سمعتهم •

ومثله اطلاق السراح لكتاب الجرائد والمجلات المـاجنة الخليعة ، الذين يقودون الأمة الى مهاوى الجهالة ، ويبثون بينهم عوامل الفساد والسفاهة ، فهم كما قال تعالى : « **لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر** » ، فهم فى لحن قولهم يحبون انتشار الفوضى اللادينية والأخلاق البهيمية ، لكون أحدهم يفضل الاباحة المطلقة على كل ما يقيد الشهوة من عقل وأدب ودين • فجنـاية التحرير الذى يتطلع عليه الصغير والكبير يترتب عليها فتنة فى الأرض وفساد كبير ، لكون العامة بما طبعوا عليه من السذاجة وعدم الرسوخ فى العلم والمعرفة قد يغترون بما يقول هؤلاء ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ، لأن من أوتى قدرة على صف الكلام قدر أن يغش به العوام وضعفة العقول والافهام عليه والمنافقون فى هذا الزمان هم شر من المنافقين الذين

نزل فيهم القران ، « **الذين يبغـونكم الفتنة وفيـكم سماعون لهم** » فهم يحبون أن تشيع الفواحش فى بلدهم ، وقد وصفهم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأنهم الدعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها •

ثم انه فى هذا الزمان انتشرت العقيدة الشيوعية اللادينية ، حيث تسمم بها قلوب كثير من الشباب فى هذا الزمان ، وجعلوها طريقة لهم وعقيدة ، ومن عقائدها : وجوب الاشتراك بين الناس فى الأبضاع والأموال ويجعلون النساء بمثابة السوائب اللاتى لا يحق لشخص أن يختص بواحدة منهن دون الثانى لا زوج ولا غيره ، ويتمنون تنفيذ هذا الاعتقاد ليتوصلوا به الى نيل أغراضهم واشباع شهواتهم ، لولا معارضة المصلحين القائمين فى الناس بالاصلاح والعـدل لمنع هذه الفكرة التى لا تبقى شيئا من الدين ولا من الأخلاق ولا من الأموال ، « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** » الآية •

والحاصل أن هذا الاختلاط الذى ننصح بمنعه وعدم اقراره أنه يفضى بأهله الى أشر غاية وأسوأ حالة ، فلا ينبغى أن نغتر بمن ســاء فهمه وزال قدمه فى الغرق فى اثمه ، فانه لا قدوة فى الشر ، فان غشيان النساء لهذه الجامعات من أقوى الوسائل لتعرف الفساق بهم واغوائهن ، والفساق هم الذين يحرصون على هذا الاجتماع بالنساء ، فلا ينبغى أن نغش أنفسنا ونتعامى عما يترتب عليه من فساد الأخلاق والآداب •

تدخل البنت العذراء المصونة المحصنة هذا المجتمع المختلط وهى فى غاية من النزاهة والعفة ، فتقعد مقعد المرأة البرزة ، بحيث تكون فى متناول كل ساقط وفاسق ، فيوجه السفهاء والفسقة اليها أنظارهم وأفكارهم ، ويسترسلون معها فى حديث الهزل والغزل ، ويعملون لها وسائل الاغراء والاغواء ، سيما اذا كانت ذا حسب وجمال ، فلا تلبث قليلا حتى تلقى عن نفسها جلباب الحياء والحشمة وتزول عنها العفة وتنحل منها رابطـــة العصمة ، ثم تميل الى الفاحشة المحرمة ، لأنها ناقصة عقل ودين ، ومشبهة

عقولهن بالقوارير والشباب قطعة من الجنون « ومن العصمة أن لا تقدر والمعصوم من عصمه الله » ومتى كثر الامساس قل الاحساس •

والمسئولون عن هذا أمام الله والناس هم الأمراء والزعماء ، الذين يجب عليهم منع طريقة اختلاط الجنسين اتقاء الفتنة ، وقد قرر العلماء بأن المجموع الذى يتضمن المحظور يكون محظورا ، وان الوسائل لها أحكام المقاصد وأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام فلأجله يجب النهى والانتهاء عن مثل هذا ، لأنه يجر الى فنون من المضار المتنوعة متى اعتادها النساء أصبحن لا يرون بها بأسا •

أن أكبر أمر تخسره المسلمة الخفرة فى هذا الاختلاط هو خسرانها للحياء الذى هو بمثابة السياج لصيانتها وعصمتها ، فالحياء يحسبه بعض الناس هينا وهو عند الله عظيم ، وفى البخارى ، أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : « الحياء من الايمان » • وقال : « الحياء خير كله » • لأن الحياء ينحصر فى فعلما يجملها ويزينها ، واجتناب ما يدنسها ويشينها ، والحياء مقرون به البهاء والجلال والجمال ، كما أن عدم الحياء من لوازمه ذهاب البهاء والجمال والجلال ، ترى المرأة الملقية لجلباب الحياء فى صورة قبيحة وقحة مترجلة لا تدرى أهى رجل أو امرأة •

واذا أردت أن تعرف خسارة فقد الحياء فانظر الى بعض البلدان التى هجر نساؤها الحياء وتجافين عن التخلق به واعتقدن أن الانسان حيوان ترى فيهم العجب من فساد الأخلاق والآداب ونكوس الطباع وفساد الأوضاع ، والاخلاد الى سفاسف الشرور والفجور ، فلا تبالى بما فعلت أو فعل بها ، شبه الحيوان ، فلا تستحى من الله ولا من خلقه ، ولا ترغب فى أن يبقى لها شرف أو ذكر جميل تذكر به ، وهذا معنى قول النبى — صلى الله عليه وسلم — : « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » •

وان قلنا : ان النساء فى حاجة الى العلم والأدب والاصلاح وتعلم سائر العلوم والفنون كالرجال ، فهذا صحيح والعلم النافع مطلوب ومرغوب

فيه فى حق الرجال والنساء ، لكن من العلم ما يكون جهلا ، وقد استعاذ النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ من علم لا ينفع ، ولا يستعيذ الرسولُ ــ صلى الله عليه وسلم ــ الا من الشر ، وهذا العلم النافع يمكن تحصيلها لهُ وحدها وفى بلدها ، بمراجعة الكتب والفنون وسائر المؤلفات وبسؤالُ العلماء عن المشكلات ، لأن هــذا هو طريق حصول العلم للرجال والنساء ، فالراسخون فى العلم والمتوسعون فيه انما يتوصلون الى ما تحصلوا عليه بهذه الطريقة ، فلماذا تترك المرأة هذا ، ثم تحرص ويحرص أهلها على السفر الذى حرمه الشارع ، بقوله « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر يوما وليلة الا مع ذى محرم » رواه البخارى ومسلم ، خصوصا مثل السفر البعيد الذى تتعرض فيه الى الأخطار والأضرار ، ثم الى الافتتان بها ، الناشىء عن الخلوة بها واختلاطهن بالرجال فى المــلاهى والمجتمعات وسائر الأحوال والأوقات ، تقليدا بما يسمونه تحرير المرأة عن رق أهلها وزوجها •

فبالله قل لى ماذا ينفع العائلة المسلمة من سفر ابنتهم الى مدرسة نصرانية ، تتربى بأخلاقهم ومساوىء آدابهم وان أكبر ما تستفيده هى اللغة الأجنبية التى لا يمكن أن تخاطب بها أمها ولا أباها ولا أخواتها ، أو تتعلم ألحان الغناء والرقص واذا رجعت الى أهلها رجعت اليهم بغــير الأخلاق والآداب التى يعرفونها منها فترى أهلها كأنهم عالم غير العالم الذى نشأت فيه ، وتحمل فى نفسها الكبر والازدراء والاحتقار لأهلها ، فتعيب عليهم فى كل ما يزاولونه من معيشتهم وأخلاقهم وآدابهم وعوائدهم ، فتثور العداوة والبغضاء والتنافر بينها وبينهم فى كل شىء ، وغايتها أنها تبغض أهلها وأقاربها وتبغض كل ما أحبوا وألفوا ، ويبغضونها ، أفلا يكون سفرها للتعلم على هذه الحالة شقاء وضلالة وقطعا لأواصر العائلة وبذر شقاق ونفاق بين أفراد عائلتها • وما تستفيده من الدريهمات فى مرتباتها ، فانها ستكون أبعد وأبعد عن أهلها ، أو لم يكون الأوفق والأليق لهــــذه البنت ولأهلها أن تتعلم مبادىء العلوم الشريفة عند أهلها وفى مدارس بلدها وأهل ملتها لتستعين بالبيئة والمجتمع على تحسين تربيتها لتكون فى بيت زوجها وأهلها صالحة مصلحة ، تعاملهم بالحفاء والوفاء ، بدون نفرة

ولا جفاء ، فتكون مثالا صالحا لأخواتها وأقاربها ، قادرة على ادارة شئون بيتها وكاليد الكريمة لزوجها والصدر الرحيب لجيرانها وأقاربها ، فتعيش سيدة بيت وسيدة عشيرة ولا يوفق لهذا الا خيار النساء عقلا وأدبا ودينا ، لأن الاصلاح الصحيح هو اصلاح النشء بتربية الأخلاق والآداب الدينية •

نهى القرآن نهيا صريحا عن ابداء النساء زينتهن لغير أزواجهن ومحارمهن ، ومن المعلوم أن المرأة فى حالة هذا الاختلاط ستظهر محاسنها ومفاتن جسمها ، فتبدى يديها الى قريب العضد وبها أسورة الذهب وساعة الذهب وتبدى رجليها الى نصف الساق وتكشف عن رأسها ورقبتها وقلائدها وحلق أذنها ، ولن تذهب الى هذا المجتمع الا بعد تكلفها بتجميل نفسها من الأصباغ والأدهان العطرية لعلمها أن الشباب سينظرون اليها ، فهل يشتبه على عاقل بعد هذا تحريم ابداء هذه الزينة مع الرجال الأجانب ، اذ لا محل للتردد فى تحريم هذا العمل ، وتحريم التعاون عليه ، وتحريم المساعدة لأهله ، بل ولا فى تحريم اقرارهم عليه والسكوت عن الانكار عليهم ، ولا حاجة الى تطويل الكلام فى مفاسده •

وما يؤول اليه ، فانها بديهة بطريق العقل والاختبار ، والمفتونون بالتقليد يعلمون من مضاره المتولدة عنه أكثر مما ذكرنا ، لكنهم يستحبون العمى على الهدى ، « **وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا** » ، وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ، فهم يفضلون ترك هذه الآداب الاسلامية والأخلاق العربية ويهزؤن بمن يفعلها وبمن يخالف رأيهم فى تركها من كل ما يسمونه تمدنا وتجديدا •

عمى القلوب عموا عن كل فائدة

لأنهم كفروا بالله تقليدا

ان الغيرة على المحارم تعد من شيم ذى الفضائل والمكارم ، فالغيور مهاب ومن لا غيرة فيه مهان ، والغيرة الواقعة فى محلها هى بمثابة السلاح لوقاية حياة الشخص وحماية أهله ، لأن الغيرة الممدوحة هى كراهة القبائح

وبغضها والنفرة منها ومن أهلها ، وكلما اشتد حفظ الانسان لصيانة نفسه وأهله قويت غيرته واشتدت شكيمته ، بحيث لا تخلوا بواديه الأراجيل •

وكلما كثرت ملابسته للقبائح وخاصة الزنا وتوابعه ، فانها تنطفىء من قلبه حرارة الغيرة ، فلا يستنكر معها فعل القبيح لا من نفسه ولا من أهله ، بل ربما يلطف فعل الفاحشة ويزينها لغيره ، كما يفعل الديوث الذى يقر السوء فى أهله ولهذا صارت الجنة عليه حرام ، كما ثبت بذلك الحديث ، أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « لايدخل الجنة ديوث» ، والديوث هــو الذى يقر أهله على عمل السوء ، لأن من يهن فى نفسه وأخلاقه ، فانه يسهل عليه الهــوان •

فالفاسدة أخلاقهم وبيوتهم يحبون أن تفسد أخلاق الناس وبيوتهم لينطفىء بذلك عارهم ويختفى ذلهم وصغارهم ، فمثل هؤلاء يحبون أن تشيع الفواحش فى بلدهم ، والغيرة من الدين ، ومن لا غيرة له لا دين له ، لأن من لوازم عدم الغيرة الرضاء بانتهاك حــدود الله ومحرماته ، ولمــا قال رجل للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يا رسول الله، أرأيت لو وجــد أحدنا على أمرأته رجلا ، ماذا يصنع ، أن قتله قتلتموه ، وان تركه ذهب ، فقال سعد بن عبادة : أما أنا لو وجدته لضربته بالسيف غير مصفح ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « أما تعجبون من غيرة سعد وأنا أغير منه والله أغير منى ، فمدح سعدا على غيرته الواقعة فى محلها » •

ان الرجل العاقل والمفكر الحازم ، يجب عليه أن يراقب العواقب ، وأن يقابل بين المصالح والمفاسد ، فان لهذه القضية ما بعدها ، اذ المنكرات يقود بعضها الى بعض وتكون الآخرة شر من الأولى ، فعند نجاح القائلين باباحة الاختلاط فى مثل هــذه القضية ، فانه يقودهم الى المطالبة باباحة الرقص ، ثم المطالبة باعطاء المرأة كمال حريتها تتصرف كيف شاءت ليس لزوجها ولا لأبيها عليها من سلطان ، كفعل المرأة الأوروبية ، وكأن هذا هو هدفهم الأكبر وبعمله يعملون •

ان عذر دعاة الاختلاط هو الحرص على حصول العلم والتعلم من كل الرجال والنساء ، مع اختصار مصرف النفقة فى سبيله ، وهذا سهل ميسر وليس بعذر يبيح أكل الميتة للمضطر ، « **ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا** » ، فالحكومة القائمة بالمصارف على كافة شئون المعارف ومنها الجامعات ، فانها لن تعجز عن النفقة فى حالة انفصال كل جنس عن الآخر ، وأما القول بدعوى الحرص منهم على حصول العلم كما يزعمون ، فان الاختلاط يعد من أسباب موانع العلم ، وتعويق حصوله ، اذ هـو ضار بالمتعلمين والمتعلمات ، لكونه يغرى الشباب والشابات بالفتنة ويولعهم باللذة ويصرفهم عن فهم العلم وتعلمه ، لأن من طبيعة النفوس أنها متى أخذت بمبادىء الأمور المستلذة من النظرة والمحادثة ، فانها تسترسل بأفكارها ويشتد شغفها بها ويتدرج بشتى الوسائل ونصب الحبائل الى أن تصل الى غايتها منها وتكون قبل وصول الغاية فى هم وبلبال وشغل فكر وبال ، تهيم به داعية الشهوة بدافع من التأثر العصبى الناشىء عن المشاهدة والمحادثة ، حتى يضيع الكثير من وقته ودروسه فى شغل قلبه بالتفكير وحتى يضيع السعى فى كسبه ومعيشة أهله ، وقد يذهب ماله وعقاره فى سبيل متابعته لشهواته مع ما يصاب به من توقع الأنكاد والأكدار الناشىء عن عـداوة الأغيار ، وقـد لا يكتفى بشغفه واحد فقط ، بل ينتقل فى موانع الفسوق من واحدة الى أخرى حتى ينصرف كل الانصراف عن زوجتـه الشرعية التى كان يحبها قبل معاشرته لغيرها ، فيكتفى بالمسافحة واتخـاذ الأخدان عن زوجته الحلال مع فساده لغيرها ، وفى هذا من المضار مالا يخفى على أحد • وان فاعله يحرم من السعادة الزوجية التى ملاكها قناعة كل واحد منهما بصاحبه ، وكذلك المرأة اذا أعتادت ذلك فانها تنبو بنظرها عن زوجها ، وتلتحق بالشاردات عن أهلهن ، وفى هذا من الشقاء والجناية على النفس والنسل والأهل وخراب البيوات وحرمان السادة ما لا يخفى على عاقل ولكن الهوى يعمى ويصم • وقد روى فى الحديث « لعن الذواقين من الرجال والذواقات من النساء » •

أيها العقلاء ، اعتبروا وفكروا واعلمـوا بأن المسلمين ما نكبوا فى مجتمعهم وأخلاقهم الا بعد ما نكبوا فى نظام عائلتهم وفساد تربيتهم

لنسائهم وأبنائهم التربية الدينية الصحيحة المبنية على التحلى بالفضائل والتخلى عن منكرات الأخلاق والرذائل •

وبسبب اهمالهم لحسن تربيتهم وفساد تعليمهم ساءت طباعهم وفسدت أوضاعهم ، وأخذوا يتناسون التعاليم الاسلامية والأخلاق العربية ، لأنه اذا ساء التعليم ساء العمل ، واذا ساء العمل ساءت النتيجة ، **« ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ، أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم »** •

فهذه محض نصيحتى لكم ، قصدت بها نفعكم ودفع ما يضركم ، وانى أرجو أن تقع منكم بموقع القبول والتنفيذ والاصلاح والتعديل والا فستذكرون ما أقول لكم والله خليفتى عليكم ، وأستودع الله دينكم وأمانتكم وأستغفر الله لى ولكم • والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

الاخلاق الحميدة
للمرأة المسلمة الرشيدة

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ومن همزات الشياطين ، وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله •

أما بعد : فقد قال الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا** » فأمر الله عباده بأن يقوا أنفسهم وأهلهم من عذاب النار ، فوقاية النفس من النار تحصل بأداء ما افترض الله وترك ما حرم الله ، كما أن وقاية الأهل من النار تحصل بأمرهم بالخير ونهيهم عن الشر ، تحصل بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، فما نحل رجل أهله وأولاده أفضل من أن ينحلهم أدبا حسنا يهذبهم به على الصلاح والتقى ، ويردعهم به عن السفاه والفساد والردى ، فالرجل راع على أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وبناتها ومسئولة عن رعيتها ، كما ثبت بذلك الحـــديث ، فمتى كان الرجل راعيا على أهله وعياله ، فان من واجبه أن يرعاهم بالمحافظة على الفرائض والفضائل وينهاهم عن منكرات الأخلاق والرذائل ويأخذ بأيدى أولاده الى الصلاة فى المسجد معه ، ليتربوا على محبة الصلاة بمداومتهم عليها ومزاولتهم لفعلها ، فان من شب على شيء شاب على حبه ، ولأنه بأخذ يد الولد اليها ومجاهدته عليها يعود حبها ملكة راسخة فى قلبه تحببه الى ربه وتقربه من خلقه وتصلح له أمر دنياه وآخرته لأنها أم الفضائل والناهية عن منكرات الأخلاق والرذائل •

وكذلك المرأة ، بما أنها راعية على بيت زوجها وعلى بناتها ومسئولة عن رعيتها ، فان من واجبها أن تربى بناتها على الحياء والستر والصيانة والنهى عن التكشف والخلاعة وعلى الأمر بالطهارة وبالصلاة فى وقتها ، فان الصلاة تقيم اعوجاجها وتصلح فسادها وتذكرها بالله الكريم الأكبر ، وتصدها عن الفحشاء والمنكر •

ان الله سبحانه ، خلق الناس متفاوتين ولا يزالون مختلفين ، فمنهم المسلم ومنهم الكافر ، ومنهم البر ومنهم الفاجر ، ومنهم الصالح ومنهم

الفاسق ، فمتى ترك الفاجر يتظاهر بكفره والحاده ، والفاسق يتظاهر بفسقه وفساده بمرأى من الناس ومسمع ، فان هذا والله غاية الفساد للمجتمع ، فان الأخلاق تتعادى والطباع تتناقل ، وانما ينتشر الشر غالبا بسبب فشوه ثم الاقتداء من بعض الناس لبعض فيه ، لأن رؤية المنكرات تقوم مقام ارتكابها فى سلب القلوب نور التمييز والانكار ، لأن المنكرات متى كثر على القلوب ورودها وتكرر فى العين شهودها دهبت عظتها من القلوب شيئا فشيئا حتى يراها الناس فلا يرون أنها منكرات ولا يمر بفكر أحدهم أنها معاصى وذلك بسبب سلب القلوب نور التمييز والانكار على حد ما قيل : اذا كثر الامساس قل الاحساس ، وغايتها أن يغرق الناس فى الفساد على سبيل العدوى والتقليد الأعمى من بعضهم لبعض •

من ذلك أن النساء متى تركن يمشين فى الأسواق بصورة خليعة كاشفة الرأس والرقبة والصدر ، تبدى يديها الى العضد أو الابط ورجليها الى نصف الساق بمرأى من الناس ومسمع ، بدون أن تنهى وتمنع ، فانه بتكرار النظر الى هذا المنكر تزول وحشته عن القلوب حتى يكون من المعروف المألوف ، يشب على فعله الصغار ويهرم عليه الكبار •

لهذا ، يجب على النساء المسلمات تهذيب أنفسهن وتمرين بناتهن على اللباس السابغ الساتر ، حتى تشب احداهن على محبته ومن شب على شىء شاب على حبه وقد اخبر النبى — صلى الله عليه وسلم — : « بأنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا » وصدق الله ورسوله ، فقد رأينا اختلافا كثيرا فى الأخلاق واختلافا كثيرا فى العقائد والاعمال •

من هذا الاختلاف أننا مكثنا زمانا طويلا ونحن نرى النساء يتمتعن بحالة مرضية وأخلاق كريمة زكية ، رأيناهن حتى الصغار منهن يرفلن فى حلل ساترة وثياب واسعة سابغة تغطى بها جميع جسمها وتغطى بالخمار الساتر جميع رأسها ورقبتها وقلائدها ، تعتقد اعتقادا جازما بأنه من واجب دينها وأنه شرط لصحة صلاتها ، وأن اسباغ الستر عليها هو عنوان شرفها وفضلها وعلامة مجدها وظرفها ، فلو رأين من تبدى يديها الى المرفقين أو الاباط ورجليها الى نصف الساق وتمشى حاسرة الرأس والوجه

والرقبة بغير خمـــار لا بتدرنها بالضرب ، فضلا عن السب ، ولحسبنها ساقطة شرف ومروءة وعديمة خلق ودين ، ليست من نساء المسلمين ، لأنها لبسة منكرة يمجها العقل فضلا عن الدين وحتى النصارى على كفرهم ، بدأوا يتراجعون عن هذا اللباس الضيق القصير ويدعون نساءهم الى استعمال الثياب الواســـعة الســـابغة وينشرون فضـــلها فى مجـــلاتهم وجرائدهم ، ويصورنها فى السينمات ويرغبون نساءهم فى استعمالها ، وأنها من أسباب الصحة للجسم وخصوصا للحوامل ، وسيكون لهذا التداعى تجاوب ولو بعـــد حين •

وفى هذا الزمان ، لمـــا كثر اختلاط النساء المسلمات بالنساء المتفرنجات من نصرانيات وعربيات لا دين لهن ولا خلق ، وطفقن يتعلمن منهن هذه اللبسة المزرية القبيحة ، لبسة العرى والعار ولبسة الذل والصغار ولبسة المتشبهات بنساء الكفار ، ومن تشبه بقوم فهو منهم •

وأخذت هذه اللبسة تسرى فى بيوت الأسر والعوائل الفاضلة ، يتحلى بها الكبار ويتربى عليها الصغار ، على سبيل العدوى والتقليد الأعمى ، والرؤساء وأرباب البيوت ساكتون واجمون لا يريدون أن يغيروا شيئا من هـــذه الأزياء ، من كل ما تشتهيه النساء وساعد على ذلك كثرة ما يشاهدونه من عرض الأفلام الخليعة التى هى من الفتن التى تعرض على القلوب كالحصير عودا عودا ، فتعمى نور القلب وتطفىء نور بصيرته ، بحيث يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا •

فيا معشر النساء المسلمات : ان الله سبحانه شرفكن بالاسلام ، وفضلكن به على سائر نساء الأنام ، متى قمتن بالعمل به على التمام وأن المرأة بدينها وأخلاقها ، لا بزيها وجمالها • الزمن لباس الشرف والحشمة ، لباس الظرف والفضيلة، لباس الحياء والستر، وهو اللباس الواسع السابغ، لباس الجلال والجمال ، لباس الحياء والوقار ، لباس الحرائر التقيات الاطهار ، ولا ينجرف يكن الهوى والتقليد الأعمى الى مشابهة نساء الكفار ، ولا تتخدعن بالدعاة الى النار ، الذين يبغونكن الفتنة وفيكن سماعـــون لهم ويحسنون لكن ما يسوء فعله فى حقكن •

فحذار ، حذار أن تكن من نساء أهل النار اللاتى وصفهن رسول الله ، بأنهن الكاسيات العاريات المـائلات المميلات ، لا يجدن عرف الجنة ـــ يعنى ريحها ـــ فللمسلمة دينها وسترها وللكافرة خلاعتها وكفرها ، قال : مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم » **الآية** •

ان فى كتاب الله لأعظم مزدجر عن عمل كل منكر ، يقول الله : « **يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين** » ، فأمر الله نساء نبيه ونساء المؤمنين بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ، والجلبات يشبه الرداء أو العباءة تغطى به جميع جسمها الا ما تبصر به الطريق من فتح عينها ونحوه ، وهو من شأن الحرائر ، بحيث يعرفن بالتستر فيحترمن ، وهذا نص قاطع فى وجوب ستر المرأة الحرة جميع جسمها حتى وجهها • وفى الآية الأخرى : « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهم على جيوبهن** » ، فأمر الله نبيه بأن يبلغ نساءه والنساء المؤمنات بما يجب عليهن شرعا من آداب اللباس والتستر ، بأن يغضضن من أبصارهن عن النظر الى الرجال الأجانب ، لكون النظر سهم مسموم من سهام ابليس وما نظرة الا وللشيطان فيها مطمع •

وهو معدود من مقدمات الزنا ، سواء فى ذلك الرجل أو المرأة ، ولهذا قالَ بعده : «**وليحفظن فروجهن**» • وفى البخارى ، أن النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قال : « العينان تزنيان وزناهما النظر ، والقلب يتمنى ويشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » ، ولمـــا قال النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : « لا تلجوا على الغيبات » • قال رجل من الأنصار : يا رسول الله ، أرأيت الحمو ، يعنى أقارب الزوج ، قال : الحمو الموت ، لأنه ما خلا رجل بامرأة الا كان ثالثهما الشيطان ، كما ثبت بذلك الحديث ، ثم « **ولأمة** « **ولا يبـــدين زينتهن الا ما ظهر منهـــا وليضربن على جيـــوبهن** » **ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن ، حتى ذكر المحارم** •

فنهى الله النساء المؤمنات عـــن ابداء زينتهن للرجال الأجانب الا

المحارم ، فهل يشتبه بعد هذا ابداء تحريم الزينة مع ما هو شر منها من الاختلاط بالشباب الأجانب والخلوة بها أو سفرها لأقصى البقاع وحدها لا محل للتردد فى تحريم هذا العمل ، وتحريم التعاون عليه والمساعدة لأهله ولا فى تحريم اقراره وعدم انكاره •

ثم قال : «**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**» ، والخمار هو ما يوضع على الرأس ويدار على الرقبة والصدر ، ومن شرطه أن يستر ما تحته ، ويتأكد ذلك فى الصلاة،بحيث يجب على المرأة المسلمة أن تستر جميع جسمها فى الصلاة ، ما عدا الوجه والكفين حتى ولو كانت فى غرفة مظلمة أو فى الليل ، فالله أحق أن يستحيا منه ، وهذا شرط لصحة الصلاة ، لقول النبى — صلى الله عليه وسلم — « لا يقبل الله صلاة حائض — أى بالغ — الا بخمار » ، أما الخمار الشفاف الرقيق الذى لا يستر ما تحته ، فان وجوده كعدمه ، فلا تصح الصلاة معه ، ويرحم الله نساء الأنصار ، لما نزل قوله : « **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** » عمدن الى مروط تخينة فشققنها على رؤوسهن فخرجن وهن لا يعرفهن أحد من التستر ، ذكر معناه البخارى فى صحيحه •

وفى الآية الأخرى : « **وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله** » الى قوله : « **اذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا** » ، فهذا والله الخطيب اللطيف والتهذيب الظريف ، يأمر الله نساء نبيه ونساء المؤمنين بالتبع بأن يقرن فى بيوتهن ، لأن أشرف حالة للمرأة أن تكون قاعدة فى قعر بيتها ملازمة لمهنتها من خياطتها أو نشازتها أو كتابتها وقراءتها أو خدمة بيتها وعيالها لا يكثر خروجها واطلاعها •

لأن ثقل القدم من المرأة فى بيتها فضيلة وكثرة الدخول والخروج رذيلة • وقد حكم النبى — صلى الله عليه وسلم — بين على وفاطمة ، أن على فاطمة خدمة داخل البيت ، وعلى على جلب ما تحتاجه خارج البيت ،

وقد وصف الله نساء أهل الجنة بما تتصف به الحرائر العفائف فى الدنيا ، فوصفهن بالبيض المكنون ووصفهن بالمقصورات فى الخيام •

ثم قال : « **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** » ، فنهى عن تبرج الجاهلية الأولى ، وهو ما يفعله النساء فى هــذا الزمان فى بعض البلدان من كون المرأة تظهر مفاتن جسمها ، فتبدى يديها الى العضد أو الآباط ورجليها الى نصف الساق ، وتمشى حاسرة الرأس والوجه والرقبة بغير خمار وتلبس عند الناس الثوب الضيق القصير الذى يميز أعضاء جسمها ، فهذا هو تبرج الجاهلية الأولى ، ولم يكن معروفا فى نساء المسلمين ، بل ولا فى نساء العرب على شركهم ، وانما كان معروفا من زى نساء النصارى والعجم ، ولمــا قال رجل للنبى — صلى الله عليه وسلم — : انى أرى نساء العجم بادية صدورهن ووجوههن ، فماذا أفعل ! فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : اصرف بصرك عنهن » •

وفى هذا الزمان ، لمــا ضعف من بعض النساء الايمان زدن فى الخلاعة والتبرج على تكشف العجم والنصارى وعلى تبرج الجاهلية الأولى ، وكلما ضعف دين المرأة وفسد خلقها أوغلت فى التبرج وأخلاق التفرنج ، لأنهــا ناقصة عقل ودين ومشبهة عقولهن بالقوارير ، وقد ابتليت بهذا الشباب الطائش الذى يفتخر أحدهم بخلاعة زوجته وتبرجها فى الأسواق بزيهــا المزرى لا يثنيها وجل ولا يلويها خجل ، وربما ذهب بها الى أصدقائه من الأغيار ليمتعهم بالنظر اليها ونظرها اليهم ويربط الصداقة بينها وبينهم فيوقعها فى الفتنة • والافتتان بها وهذا غلبة فى سقوط المروءة وذهاب الحياء والغيرة لا يصدر مثله الا من شخص مهين عديم المروءة والدين •

من يهــن يســهل الهــوان عليــه
ما لجــــرح بميت أيــــلام

ان الستر والصيانة هما من أعظم العون على العفاف والحصانة ، فان من العصمة أن لا تقدر • وقد أيدى النصارى ببغيهم الحسد للمسلمين على

سترهم لنسائهم فبثوا من الأفلام الخليعة التى تغزو الناس فى قعر دورهم من شر سماعه ، فما بالك برؤيته •
من كل ما يدعو النساء الى الافتتان ويضعف منهن الايمان ، وقد قيل حسبك

ان الرجـــال الناظرين الى النساء
مثل السباع تطـوف باللحمـــان

ان لم تصن تلك اللحوم أسودها
أكلت بلا عـــوض ولا أثمـــان

ثم قال : « **وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسـوله** » الى قوله : « **واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا** » •

فأمر الله نساء نبيه ونساء المؤمنين ، بأن يقمن الصلاة ، أى يأتين بها فى وقتها مقومة معدلة بخشوع وخضوع فى السجود والركوع ، لأن لب الصلاة الخشوع فى الركوع والسجود ، ولأن الصلاة من آكد العبادات ، وهى من أكبر ما يستعان بها على حسن تربية البنين والبنات ، لأنها عمود الديانة ورأس الأمانة ، تهدى الى فعل الفضائل وتكف عن منكرات الأخلاق والرذائل ، تنبت فى القلب محبة الرب والتقرب اليه بطاعته ولا اسلام ولا دين لمن ترك الصلاة ، فكل امرأة يدعوها زوجها الى الصلاة فتعصيه ولا تطيعه وتصر على ترك الصلاة ، فانه يجب عليه فراقها ، لاعتبارها أن الصلاة كفر ، والله يقول : « **ولا تمسكوا بعصم الـكوافر لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن** » •

ثم قال : « **واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة** » • فهذه الآية وما قبلها وردت مورد الخصوص لأزواج النبى ، ومعناها

العموم لسائر المؤمنات ، لأن الاعتبار فى القرآن هــو بعموم لفظــه لا بخصوص سببه كسائر نظائره •

وهذه الآية تعتبر من أقوى الدلائل على تعلم المرأة لأحكام الكتاب والسنة وسائر العلوم الشرعية ، اذ هى كالرجل فى ذلك ، ولأن العــلم الصحيح النافع يكسبها جميل الأخلاق والآداب ويرقيها الى الشرف والكمال « **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** » •

وأما ما يذكر عن نهى النساء عن الكتابة ، فان الحديث مكذوب على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولفظه عن عائشة قالت : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور » انتهى • فهذا حديث لا يصح وقد حقق العلماء بطلانه ، وأنه مكذوب على رسول الله ، فسقط الاحتجاج به • وقول الحق : هــو أن المرأة كالرجل فى تعلم الكتابة والقراءة والمطالعة فى كتب الدين والأخلاق وقوانين الصحة وتدبير المنزل وتربية العيال ومبادىء العلوم والفنون من العقائد الصحيحة والتفاسير والسير والتاريخ وكتب الحديث والفقه ، كل هذا حسن فى حقها تخرج به عن حضيض جهلهــا ولا يجادل فى حسنه عاقل مع التزام الحشمة والصيانة ، وعدم الاختلاط بالرجال الأجانب •

وقــد كان لنساء الصحابة والتابعين من هــذا العلم الحظ الأوفر والنصيب الأكبر ، فمنهن المحدثات ومنهن الفقيهات ، وللعلماء مؤلفات فى أخبار علوم النساء لا يمكن حصرها فى هذا المختصر وحتى المصاحف ذات الخط الجميل فى الشام والعراق ، تقــع غالبــا بخط النساء وكثير منهــن يوصفن بالنبوغ والبلاغة غير المتكلفة ، ونحن نشير الى طرف يسير منها •

من ذلك ، أن عائشة أم المؤمنين كان الصحابة يسألونها من وراء حجاب عما يشكل عليهم من الأحاديث وتفسير الآيات ، وعن الأحكام وأمور

الحلال والحرام ، وكانت تستدرك على الصحابة كثيرا من القضايا وهى معدودة من حفاظ الصحابة الذين أكثروا من الأحاديث عن رسول الله ﷺ وهم سبعة : ابن عباس وابن عمر وأنس بن مالك وأبو هريرة وجابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدرى وعائشة ، ولا يكون مكثرا حتى يحفظ عن رسول الله فوق ألف حديث ، وهى كذلك ، وقد اشتهرت بالبلاغة والنبوغ والحفظ ، فمن بلاغتها ما رواه ابن عساكر فى تاريخه عن جعفر بن عون عن أبيه عن عائشة ورواه أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، أنها قالت : أنه لما ألقى الدين بجرانه وألفى بركه ورست أوتاده ودخل الناس فيه أفواجا ومن كل فرقة أرسالا وأشتاتا ، اختار الله لنبيه ما عنده ، فلما قبض الله نبيه نصب الشيطان رواقه ومد طنبه ونصب حبائله فظن رجال أنه قد تحققت أطماعهم ولآت حين الذين يرجون وانى والصديق بين أظهرهم ، فقام حاسرا ومشمرا فجمع حاشيته ورفع فطرته فرد نشر الاسلام على غره ولم شعثه بطيه وأقام أوده بثقافة فوقذ النفاق بوطئته وانتاش الدين فنعشه ، فلما أراح الحق على أهله وقرر الرؤوس على كواهلها وحقن الدماء فى أهبها أنته منبته فسد ثامه بنظيره فى الرحمة وشقيقه فى السيرة والمعد له : ذاك ابن الخطاب لله أم حفات له ودرت عليه ، لقد أوجدت به فقبح الشر وشرد الشرك وبعج الأرض فقاءت أكلها ولفظت خبيثها ترامه ويصد عنها وتتصدى له ويأباها ، ثم ورع فيها وودعها كما صحبها فأرونى ماذا يرتبون وأى يومى أبى تتقمون ، أيوم أقامته اذ عدل فيكم ، أم يوم ظعنه عنكم وقد نظم لكم أمركم ، أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم • انتهى •

فهذه نبذة يسيرة ، تدل الناظر على سعة علم نساء الصحابة وما وفقن له من الفصاحة والاصابة ، مع حسن سبك الكلام المتضمن لجميل البلاغة والبيان ، وأن لهن العناية التامة بتعلم العلوم النافعة وتعليمها مع العمل بها •

وقد ظهر أثر بركة علمهن على أخلاقهن وحسن آدابهن ، لأنهن متى صلح العلم والتعلم صلح العمل ، واذا فسد العلم والتعلم ساء العمل ،

واذا ساء العمـــل ساءت النتيجة ، لأن من العلم ما يكون جهـــلا ، وقـــد استعاذ النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ من علم لا ينفع ولا يستعيذ الا من الشر ، فمن العلم الذى لا ينفع والذى هو داخل فى ضمن الجهل تعلم المرأة للرقص والغناء والتمثيليات السامجة التى هى غاية فى الكذب ، وتصوير رسم الحيوانات الحية ، ثم يندفع بها سوء علمها وفساد عملها الى السفر للتعلم وحدها ، فتخرج من بيت أهلها متهتكة متبرجة ، تغشى دور الفجور ومحلات الفسوق ومسارح اللهو واللعب والخمور والسينمات، مع تركها للفرائض والواجبات من الصلوات ، لأن هذا هو منتهى تعلم البنين والبنات فى هذا الزمان •

ان الأصل فى التعلم الصحيح هو اصلاح النشء بتربية الأخـــلاق والآداب الدينية بما يجعل المرأة صالحة مصلحة ، ثم تعلم العلوم النافعة ، لأن الغرض من تعليم البنات هو تربية أنفسهن وتهذيب أخـــلاقهن على المحافظة على الفرائض والفضائل واجتناب منكرات الأخلاق والرذائل ، وهن أقبل الناس لتعليم الدين والأخلاق والخير وفيهن أتم الاستعداد للاستماع والاتباع لو وفقن للمعلمين والمعلمات المرشدين الصالحين ، الذين يهدون بالحق وبه يعدلون •

ان فى تعليم الاسلام ما يضمن السعادة والراحة للبنات ولســـائر البيوت والعائلات ، لأن دين الاسلام يعلمهن فضيلة الستر والعفاف وفضيلة التواضع فى المـــأكل واللباس ، وينهى عن المغالاة فيما يسمى الكماليات ، مما يعد خارجا عن الضروريات ، ويأمر بالاقتصاد فى النكاح وينهى عن المغالاة فى المهور ، ويقول : اذا خطب اليكم من ترضون دينه وأمانتـــه فزوجوه ان لا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ، ويأمر بالاقتصاد فى النفقة بحسن التدبير ، وينهى عن الاسراف والتبذير ، حتى ولو كان على نهر جار ، ويأمر بالتودد الى الأرحام والجيران ، وحسن معاشرة الناس بالاحسان وبافشاء السلام وطيب الكلام ، وينهى عن اطـــلاق اللسان باللعن والسب ، لاعتبار أن الأم مدرسة لأولادها فى الخير والشر ،

فمتى كانت بذيئة اللسان تعلم ذلك أولادها منها وصاروا يتقاذفون باللعن فيما بينهم ، ثم تعليمهن النظافة فى الجسم والثياب والمنزل والعيال ، وان النظافة من الايمان ، ومن أسباب الصحة للأبدان •

والناس يعرفون ظرف المرأة بنظافة جسمها ونظافة بيتها وعيالها ، وأن أشرف حاله المرأة أن تكون قاعـــدة فى قعر بيتهـــا ملازمة لمهنتها من خياطتها أو مغزلها أو خدمة بيتها وعيالها ، لا يكثر خروجها واطلاعها ، لأن بقاء المرأة فى بيتها فضيلة وكثرة دخولها وخروجها رذيلة ، ويأمرها برعاية حقوق زوجها ، وحسن صحبته ومعاشرته ولزوم طاعته بالمعروف • وأن لا تكلفه ما يشق عليه من متطلباته بالكماليات التى قـــد لا يستطيع الحصول عليها الا بمشقة ، وأن لا تأذن فى دخول بيته لمن يكره دخوله من رجل أو امرأة ، وأن لا تخلو مع رجل ليس بمحرم لها •

فهـــذه هى التعاليم الاسلامية والأخلاق الدينية التى تجعل المرأة صالحة مصلحة فى بيتها وبيئتها وحسن تربيتها لأولادها وبناتها وتجعلها سعيدة فى حياتها وبعد وفاتها ، ولا يوفق للعمل بهذه المزايا الفاضلة والوصـــايا النافعة الا خيار النساء علما وعقلا وأدبا ودينا •

وانما نكب المسلمون وأصيبوا بالنقص من فساد الأخلاق والأعمال، كله من أجل اهمالهم لحسن تربيـــة أولادهم وبنـــاتهم التربية الدينية النافعة التى تجعل المرأة سيدة بيت وسيدة عشيرة •

ان نابتة التفرنج وعشاق التبرج الذين أضاعوا الصلاة واتبعـــوا الشهوات ، وخرقوا سياج الشرائع واستخفوا بحرمات الدين واتبعـــوا غير سبيل المؤمنين يظنون من رأيهم القصير وعزمهم الحقير أن الحضارة والتمدن والرقى والتقـــدم أنه فى تشييد القصـــور ومعاقرة الخمـــور ومجاراة النصارى فى الحرية والخلاعة والسفور ، قـــد ضربهم من الجهل سرادق ومن الغباوة أطباق وغرهم بالله الغرور •

تالله لقد سلكوا شعاب الضلالة وسقطوا فى هوات المذلة ورضوا بأخلاق المذمة ، الذى ساقهم اليها ودلهم عليها صريح الجهل وسفالة الأخلاق ومجالسة الفساق ، فان داموا على ما هم عليه ولم يعدلوا سيرتهم ولم يرجعوا الى طاعة ربهم صاروا مثالا للمعايب ورشقا لنبال المثالب وسيسجل التاريخ مساوءهم السيئة التى خالفوا بها سيرة سلفهم الصالحين الذين شرفوا عليهم بتمسكهم بالدين وطاعة رب العالمين فلا أدرى من أحق بالأمن ان كنتم تعلمون •

نسأل الله سبحانه أن يهدينا لأحسن الأخلاق ، لا يهدى لأحسنها الا هو وأن يصرف عنا سيئها ، لا يصرف عنا سيئها الا هو ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ومن همزات الشياطين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين •

حرر فى ٢١ جمادى الأولى عام ١٣٩٤ هـ •